

تَقْسِمُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سورة الذاريات ١٦-٢-٢-١٤٠٢-٤

دراسات الأستاذ:
مهدي الهادي الطهراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١)

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢)

سورة الذاريات

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣)

فَالْمُقْسِمَاتِ أَمْرًا (٤)

سورة الذاريات

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ (٥)

وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦)

الأقسام الأربعة في أول سورة الذاريات

- و سأل ابن الكواء أمير المؤمنين عليه السلام و هو يخطب على المنبر (ما الذاريات ذرواً) قال: **الرياح**، قال ما (**الحاملات** و قرأً) فقال **السحاب**. فقال ما (**الجاريات** يسراً) قال **السفن** و المعنى إنها تجرى سهلاً، فقال ما (**المقسمات** أمراً) قال **الملائكة**.
- و هو قول ابن عباس و مجاهد و الحسن، و هذا قسم من الله تعالى بهذه الأشياء.

الأقسام الأربعة في أول سورة الذاريات

- و قال قوم: التقدير القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم إلا بالله.
- وقد روى عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام أنه لا يجوز القسم إلا بالله. و الله تعالى يقسم بما يشاء من خلقه.

الأقسام الأربعة في أول سورة الذاريات

- و قيل: الوجه في القسم بالذاريات تعظيم ما فيها من العبرة في هبوبها تارة و سكونها اخرى، و ذلك يقتضى مسكناً لها و محرکاً لا يشبه الأجسام، و في مجيئها وقت الحاجة لتنشئة السحاب و تذرية الطعام ما يقتضى مصرفاً لها قادراً عليها، و ما في عصفها تارة و لينها اخرى ما يقتضى قاهراً لها و لكل شىء سواها.

الأقسام الأربعة في أول سورة الذاريات

- و الوجه في القسم بالحاملات وقرأ، ما فيه من الآيات الدالة على محمل حملها الماء و أمسكه من غير عماد و اغاث بمطره العباد و احيي البلاد و صرفه في وقت الغنى عنه بما لو دام لصاروا إلى الهلاك، و لو انقطع أصلاً، لا ضربهم جميعاً. و الوجه في القسم بالجاريات يسراً ما فيها من الدلائل و بتسخير البحر الملح و العذب بجريانها و تقدير الريح لها بما لو زاد لغرق و لو ركد لأهلك، و بما في هداية النفوس إلى تدبير مصالحها و ما في عظم النفع بها في ما ينقل من بلد إلى بلد بها.
- و الوجه في القسم بالملائكة ما فيها من اللطف و عظم الفائدة و جلاله المنزلة بتقسيم الأمور بأمر الله تعالى من دفع الآفة عن ذا و إسّلام ذاك و من كتب حسنات ذا و سيئات ذاك، و من قبض روح ذا و تأخير ذاك. و من الدعاء للمؤمنين و لعن الكافرين، و من استدعائهم إلى طريق الهدى و طلب ما هو أولى بصد داعي الشيطان و الهوى عد و الإنسان.

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- روى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و ابن عباس (رحمة الله عليه) و مجاهد ان (الذاريات) الرياح يقال: ذرت الريح التراب تذروه ذرُوءاً، و هي ذاريةٌ إذا طيرته و أذرت تذرى إذراء بمعنى واحد.

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ

- و قوله (إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ) جواب القسم. و معناه إن الذي وعدتم به من الثواب و العقاب و الجنة و النار وعد صدق لا بد من كونه
- (وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ) معناه إن الجزاء لكائن يوم القيامة، و هذا يفيد ان من أستحق عقاباً، فانه يجازى به و يدخل في ذلك كل مستحق للعقاب، كأنه قال: إن جميع الجزاء واقع بأهله يوم القيامة في الآخرة

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- و السورة مكية لشهادة سياق آياتها عليه و لم يختلف في ذلك أحد، و من غرر آياتها قوله تعالى: «و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون».
- قوله تعالى: «و الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا» الذَّارِيَاتِ جمع الذارية من قولهم: ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا أطارته و **الوقر** بالكسر فالسكون **ثقل الحمل في الظهر أو في البطن.**

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- و في الآيات إقسام بعد إقسام يفيد التأكيد بعد التأكيد للمقسم عليه و هو الجزاء على الأعمال فقوله: «وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا» إقسام **بالرياح المثيرة للتراب**، و قوله: فَالْحَامِلَاتِ وُقُورًا» بالفاء المفيدة للتأخير و الترتيب معطوف على الذاريات و إقسام **بالسحب الحاملة لثقل الماء**، و قوله: «فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا» عطف عليه و إقسام **بالسفن الجارية في البحار بيسر و سهولة**.

وَ الذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا

- و قوله: «فَالْمُقَسَّمَاتِ أُمَّرًا» عطف على ما سبقه و إقسام **بالملائكة** الذين يعملون بأمره فيقسمونه باختلاف مقاماتهم فإن أمر ذى العرش بالخلق و التدبير واحد فإذا حمله طائفة من الملائكة على اختلاف أعمالهم انشعب الأمر و تقسم بتقسمهم ثم إذا حمله طائفة هي دون الطائفة الأولى تقسم ثانيا بتقسمهم و هكذا حتى ينتهي إلى الملائكة المباشرين للحوادث الكونية الجزئية فينقسم بانقسامها و يتكرر بتكررها.

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- و الآيات الأربع - كما ترى - تشير إلى **عامّة التدبير** حيث ذكرت أنموذجا مما يدبر به الأمر في البر و هو الذاريات ذروا، و أنموذجا مما يدبر به الأمر في البحر و هو الجاريات يسرا و أنموذجا مما يدبر به الأمر في الجو و هو الحاملات وقرا، و تتم الجميع بالملائكة الذين هم وسائد التدبير و هم المقسمات أمرا.

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- فالآيات في معنى أن يقال: أقسم بعامة الأسباب التي يتمم بها أمر التدبير في العالم أن كذا كذا، و قد ورد من طرق الخاصة و العامة عن علي عليه أفضل السلام تفسير الآيات الأربع بما تقدم.
- و عن الفخر الرازي في التفسير الكبير، أن الأقرب حمل الآيات الأربع جميعا على الرياح فإنها كما تذرو التراب ذروا تحمل السحب الثقال و تجرى في الجو يسر و تقسم السحب على الأقطار من الأرض.
- و الحق أن ما استقر به بعيد، و ما تقدم من المعنى أبلغ مما ذكره.

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- قوله تعالى: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ وَ إِنَّا الدِّينَ لَوَاقِعٌ» «ما» موصولة، و الضمير العائد إليها محذوف أى الذين توعدونه، أو **مصدرية**، و «توعدون» من الوعد كما يؤيده قوله: «وَ إِنَّا الدِّينَ لَوَاقِعٌ» الشامل لمطلق الجزاء، و قيل: من الإيعاد كما يؤيده قوله: «فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ»: ق - ٤٥.

وَ الذَّارِيَّاتِ ذُرُوءًا

- وعد الوعد صادقاً من المجاز في النسبة كما في قوله: «في عيشة راضية»: الحاقه: ٢١ أو الصادق بمعنى ذو صدق كما قيل بمثله في قوله: «في عيشة راضية» و الدين الجزاء.

وَ الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا

- و كيف كان فقوله: «إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ» جواب القسم، و قوله: «وَ إِنَّا لَنَدِينَنَّ لَوَاقِعٌ» معطوف عليه بمنزلة التفسير، و المعنى أقسم بكذا و كذا أن الذي توعدونه - و هو الذي يعدهم القرآن أو النبي ص بما أنزل إليه - من يوم البعث و أن الله سيجزيهم فيه بأعمالهم إن خيرا فخييرا و إن شرا فشرا لصادق، و إن الجزاء لواقِع.

سورة الذاريات

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ (٧)

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ

- ثم استأنف قسماً آخر فقال (وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ) فالحبك الطرائق التي تجرى على الشيء كالطرائق التي ترى في السماء. و ترى في الماء الصافي إذا مرت عليه الريح، و هو تكسر جار فيه. و يقال للشعر الجعد حبك و الواحد حبيك و حبيكة، و الحبك أثر الصنعة في الشيء و استوائه، حبكه يحبكه و يحبكه حبكاً «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ» أي ذات حسن الطرائق، و حبك الماء طرائفه قال زهير:
- مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه
حبك «١»

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحَبِكِ

- و تحبكت المرأة بنطاقها إذا شدته في وسطها، و ذلك **زينة** لها، و حبك السيف إذا قطع اللحم دون العظم،
- و قال الحسن و سعيد بن جبير: ذات الحبك ذات الزينة بالنجوم و الصنعة و الطرائق الحسنة.
- و قيل: الحبك النسج الحسن، يقال: ثوب محبوب.

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ

- قوله تعالى: «وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ» **الحبُك** بمعنى **الحسن و الزينة**، و بمعنى **الخلق المستوي**، و يَأْتِي جَمْعًا لِحَبِيكَةً أَوْ حَبَاكَ بِمَعْنَى الطَّرِيقَةَ كَالطَّرَائِقِ الَّتِي تَظْهَرُ عَلَى الْمَاءِ إِذَا تَنَنَى وَ تَكَسَّرَ مِنْ مَرُورِ الرِّيحِ عَلَيْهِ.

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ

- و المعنى على **الأول**: أقسم بالسماء ذات الحسن و الزينة نظير قوله تعالى: «إِنَّا زِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ»: الصافات: ٤،
- و على **الثاني**: أقسم بالسماء ذات الخلق المستوى نظير قوله: «و السَّمَاءِ بَنِينَهَا بِأَيْدٍ»: الآية ٤٧ من السورة
- و على **الثالث** أقسم بالسماء ذات الطرائق نظير قوله: «و لَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ» المؤمنون: ١٧.

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ

- و لعل المعنى الثالث أظهر لمناسبته لجواب القسم الذى هو اختلاف الناس و التشتت طرائقهم كما أن الأقسام السابقة: «و الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا» إلخ كانت مشتركة فى معنى الجرى و السير مناسبة لجوابها: «إِنَّمَا تُوْعَدُونَ» إلخ المتضمن لمعنى الرجوع إلى الله و السير إليه.